الاحتفالية في المسرح الجزائري

أ. ميراث العيد[1]

بداية، وقبل الولوج في الموضوع أود أن أطرح بعض الأسئلة بدورها ستشكل رؤية منهجية استند إليها للرد ، أو على الأقل من سأجتهد لأجد لها ردودا لأنها أسئلة بحق ظلت تشكل هاجسا بالنسبة لي ولغيري من المهتمين بالمسرح والدين ظلوا يراقبون ويتابعون الحركة المسرحية في الجزائر ، من بعيد ومن قريب ، لآن الهم المسرحي في تصوري لا يحمله فقط المخرج أو الممثل ، أو الكاتب قد يحمله "الملتقى" أيضا الذي اعتبره الغير متفرجا أو مجرد مشاهد يدفع ثمنا زهيدا أو غاليا ليرى أشباحا تتمايل وتتعاطى الكلام دونما هدف أو مغزى

زعم المشرفون على جمعية البيان والفنون بان المهرجان هو المسرح الممتاز والنيمة الموضوعة لبساط الدراسة والتباحث هي الاحتفالية ، فما علاقة " الممتاز " بالاحتفالية ، وهل تتحقق الاحتفالية في المسرح الجزائري تجعل منه مسرحا ممتازا وبالتالي ناجحا وذلك إذن ما تصبوا إليه الجمعية ؟؟

ولعل من الخطأ أن لم يكن من الغباء أن نعتقد بأن الإجابة تكمن في هذا الطرح الساذج كما قد يبدو للبعض ، لأنه البداية أن تكون من البداية أي لا بد من تعريف وتحديد مفهوم الاحتفالية

فإذن ما معنى الاحتفالية

ودون فلسفة ، وبعيدا عن التعريفات التي تداولها الاخوة المغاربة في بياناتهم والتوسيتون والمشارقة وان كانوا يلتقون كلهم وان الأغلب الأعم ، حول فكرة واحدة وهي التأسيس والتأصيل لمسرح عربي ينطلق من أسس فكرية وعقائدية لتحقيق جمالية مسرحية عربية تلبي حاجات فكرية وجمالية لمجتمع عربي مغلوب على أمره ، لم يستطع أن يتخلص من الغزو الثقافي ، فظل تابعا يجتر تجارب مسرحية أوربية وأخرى لقيطة لم تفده في شيء ، فعزف عنه الجمهور ولم يعد يأبه به.

كيف لا وقد لقي هذا الجمهور نساء ورجال ظالتة في التلفزيون التي بات يقدم له مسلسلات مصرية وسورية تشفي غليله وتنسيه مشاكله اليومية من خلال ملاحظات لمشكلات .... التي قد كبير مشاكله في أسلوب تراديدي كوميدي في أحيان كثيرة.

الاحتفالية لغة هي نم فعل احتفل يحتفل احتفالا ومعنى فعل احتفل هو احتفى باشيئ أو فرح به أولـه ، وهتف له وصفق له . وقد يتخذ هذا الشيء أبد صورة من صور القول والفعل ، كأن يكون في شكل قصيدة شعرية تلقى أو أغنية ، أو مباراة في كرة القدم ، أو في الملاكمة

وغيره ....

---

[1] – أستاذ مساعد مكلف بالدروس – قسم الفنون الدرامية – كلية الآداب،اللغات و الفنون – جامعة وهران..

وقد تكون في شكل فاصل هزلي commedia d'ellarte ، يؤديه شخص أو ممثل واحد في ســـاحة . كما هو الشأن الحلقة أو القوال.

فيحتفل الجمهور المتعلق بما يرون كما هو الشأن أيضا بالنسبة للسحار' أو 'عيساوى" .

وينطوي هذا أيضا على ، من حيث المفهوم السابق تحديدة ، على المسرح الأوروبي ، فالجمهور وهـــو يتفرج أو يشاهد المسرحية يحتفل بما يرى فيصفق ويهتف بحياة الممثل دون آخر أو يحتفي بموضوع المســـرحية أو بفكرتها وهكذا ....

لكن لا بد هنا من الاحتراز في تحديد مفهوم الجمهور فالجمهور المتعلق حول السحار أو العياوي غـــير جمهور المسرح ، فجمهور المسرح هو جمهور آخر لأنه يفترض أن جمـــهور آخـر أي جمـهور متلقـي جـاء ليلقيDiscours خطاباRéception مسرحيا ، وهذا الخطاب غير خطاب الفاصل المضحك . الذي ذكرنـاه آنفـا . لأن الفاصل المضحك ظهر في بدايات المسرح الجزائري ، لم يتوقف المسرح عنده بل تجاوزه لا سيما عندما احتـك بالمسرح العربي المشرقي وذلك بعد الزيارات المتكررة للفرق المسرحية العربية إضافة إلى المســـرح الكوالونيـالي المتواجد في العاصمة في بعض ولايات الوطن كسيدي بلعباس ووهران وعنابة وغيرها ...

فإذا الملتقى عنصر هام في المعادلة المسرحية ، والاحتفالية ها هنا تأخذ ماهية أخرى ينبغـي تحديدهـا والبحث عنها دونما تفلسف عقيم لا يؤدي بالنقاش العلمي سوى إلى طريق مسدود .

ومن ثم تساءل هل نبحث عن الاحتفالية في المسرح أو العكس أي أن نبحث عن المســـرح فـــي الاحتفاليـــة ؟؟ أو الاحتفال؟؟

يقول الساسيون سنحتفل باليوم العالمي للمسرح – فرضا – فتقـــام المســـرحيات ، وتشـــعل المســـارح أنوارها ، ويؤتى بالأطفال ، وتؤدى العروض المسرحية فيقام الاحتفال .

كما يتخذ السياسيون قرار بالاحتفال باليوم الوطني للعلم ، فتقام المحاضرات ، والاحتفـــالات الغنائيـــة ، ويذكر اسم العلامة والإمام والمجاهد عبد الحميد بن باديس . ولا يذكر اسم جمعية العلماء المســـلمين الجزائريـيـن مع أنها جمعية لعبت دورا في بعث وأحياء الحركة الثقافية والفنية أيام الاستعمار الحالكة بالظلامية والجهل.

وخلاصة القول أن المسرح الجاد والممتاز ليس ذلك الذي يقوم على الاحتفالية لا فعل المسرح في ذاتـــه احتفالا أو عرسا يقام ليشعر المتلقي بالزهد والغبطة ، والسعادة لأنه ذاهب ليرى عرضا مسرحيا ولأنه كـــان حتمـــا سيضيف لمعارفه معرفة جديدة ، وهو من وان رأى العرض من قبل فان حتما – كما يقول أرســـطو – سيســـتمتع برؤية أفراح المسرحية وأداء الممثلين.

فإذن الاحتفالية هنا ، من حيث مفهومها الضيف تكمن في روعة الإخـــراج ، وبراعـــة الأداء ، رونـــق السيونوغرافيا وحلاوة الموسيقى ، وصفيق الجمهور المتعطش لرؤية شيء جميل اسمه المسرح .

ولعل الرد الأخير في مداخلتي يندرج ضمن طائلة التجريب أي ربط الاحتفالية بالتجريب في المسرح الجزائـــري .. والتجريب هنا يفضي بنا إلى الحديث عن النظريات الحديثة التي عرضها المسرحي العالمي وتأثر بها مسرحنا فـــي الجزائر ، لكن المسألة لا ينبغي أن ينظر إليها على أساس أنها موضة تقتنى كما تقتنى السلع الاستهلاكية.

وإنما ، والأمر كذلك ، لا بد أن نعي بأن الأمر يحتاج إلى دراسة والى تكوين على جميع الأصعـــدة فـــي الإخراج ، والتمثيل وسسيوغرافيا وما شابه . واقصد بالتكوين أي الأكاديمي الذي ينهض به أســـاتذة مختصـــون . وأين نحن من هذا كله ؟

وأؤكد هنا بأنه المسألة لا تستثني عاملا أو عنصر هاما في المعادلة المسرحية ولا تجريب ، ولا ممتـــاز دونه وهو الكاتب المسرحي . هذا الكاتب الذي ما فتئنا نسطر ولادته في الجزائر ، وسؤال نبسطه فنعتـــبر الإجابـــة عليه هل استطاع المسرح في الجزائر إن يحتفل بكاتب مسرحي جزائري فذ كما هو الشأن فـــي الأجنـــاس الأدبيـــة الأخرى كالرواية والشعر والقصة.

هذا الكاتب الذي له الحق لوحده ان يجرب ويثري الحركة المسرحية بإبداعاته ، ان المسرح في الجزائـر على طول حركته الأدائية والإبداعية من (اقيناس وجزاءه ، وتعريب) لم يستطع أن يؤدي ، رغم تراكـــم إبداعـــه ، إلى ولادة كاتب مبدع ، بالرغم من أنه أنجب مخرجين وممثلين كبارا.

إذن لماذا ؟ واقترح في النهاية أن تعقد جلسات علمية أخرى لمناقشة هذه القيمة ولكن الكاتب والنـــص المسرحي في الجزائر .